Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من التواصل بين أجزاء روايات حنا مينة السيرية، إلا أن بوسع المرء قراءة أي منها منفردة، وهكذا ستعنى هذه القراءة بـ (المغامرة الأخيرة) وحدها[25].

***

بنى الكاتب هذه الرواية على مستويين: الأول هو الفصول السردية التي تعتمد ضمير الغائب، والثاني هو المذكرات الشخصية لزبيد الشجري، ولكل فصل من هذه تاريخ. وإذا كانت المذكرات تشي بالسيرية، فضمير الغائب يقوي المسافة بين السارد والمؤلف، وبين الرواية والسيرة التي تعوّل على تماهي السارد والمؤلف وعلى ضمير المتكلم، كما هو الأمر بالنسبة لاسم الشخصية المحورية (اسم السارد). فالميثاق الاسمي شرط أساس في السيرة. وإذا كان حنا مينة ينقض هذا الميثاق، فهو لايدع تشخيص السيري في روايته لما قد يتوفر للقارئ من قرائن خارج النص، إذ يثبت في هوامش الرواية مايؤكد أن زبيد الشجري هو حنا مينة. ولست أدري -بالتالي- ما الحاجة إلى الاستعانة بضمير الغائب أو نقض الميثاق الاسمي؟ على أن هذا الصنيع، أيّاً كان، يظل مفيداً لكاتب الرواية السيرية في توفير القناع الروائي الذي يضاعف التحرر من أسر الحياة والتقية، ويضاعف الجرأة على المكبوت والمقموع والمحرم، مما تدفع السيرة غالباً ثمناً ما له، وبخاصة حين يكون كاتبها عربياً.

***

تعنون المغامرة شخصية زبيد الشجري كما تعنون الرواية. فمنذ البداية وإثر اعتداء جيفرسون عليه في شنتاو من أجل مارلين، يؤكد زبيد لها ولايتوال بروك أن تلك هي مغامرته الأخيرة ما دام في الصين. وحين يودع زبيد في سجن الخطرين يخاطب نفسه: إنها مغامرتك الأخيرة. وحين يلتقي الصينية تشين لاو نقرأ: هذه هي المغامرة الأخيرة. وهذا ما سيتكرر حين تهب العاصفة وتدفع بسمك القرش إلى المسبح فيندفع زبيد إليه مخالفاً التعليمات، وأخيراً: سيهرب زبيد من المستشفى الذي يعالج جروحه جراء مغامرة المسبح، وسينهي الرواية بانفتاح تلك المغامرة الأخيرة على مغامرة جديدة.

وزبيد إذن مغامر لاتنتهي مغامرته، فهو إذ يغرق نفسه في العمل هرباً من أزمة الخلاف الصيني السوفياتي إنما يغامر. وهو يدعو أيتوال بروك إلى المغامرة. وقدوم تشين لاو إليه لتودّعه مغامرة.

---

[25] دار الآداب، بيروت، 1997.